

الحكم من تأخر إجابة الدعاء^(١)

بقلم: د. محمد بن إبراهيم الحمد

من البلاء على المؤمن أن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء،
ويبالغ فيه، وتطول المدة، فلا يرى أثراً للإجابة.
ومن هنا يجد الشيطان فرصته، فيبدأ بالوسوسة له، وإساءة ظنه
بربه، وإيقاعه بالاعتراض على حكمته.
فينبغي لمن وقعت له هذه الحال ألا يختلج في قلبه شيء مما يلقيه
الشيطان؛ ذلك أن تأخر الإجابة مع المبالغة في الدعاء يحمل في
طياته حكماً باهراً، وأسراراً بديعة، لو تدبرها الداعي لما دار في
خلده تضجر من تأخر الإجابة.

وفيما يلي ذكر لبعض تلك الحكم والأسرار، والتي يَجْمَلُ بالداعي أن يتدبرها، ويحسن به أن يستحضرها.

(١) انظر صــــــــــــيد الخاطر لابن الجوزي ١٠٧/١ - ١١٠ ، و ١٧٨-١٧٩ ،
و ٢٢١-٢٢٢ ، و ٢٩١-٢٩٣ ، و ٥٨٧/٣ ، والفوائد لابن القيم ص ١٣٧-١٣٩
و ١٧٨-١٧٩ و ٢٠٠-٢٠٢ .

١ - أن تأخر الإجابة من البلاء الذي يحتاج إلى صبر: فتأخر الإجابة من الابتلاء ، كما أن سرعة الإجابة من الابتلاء.

قال - تعالى - : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾
الأنبياء : ٣٥.

فالابتلاء بالخير يحتاج إلى شكر ، والابتلاء بالشر يحتاج إلى صبر؛
فإياك أن تستطيل زمان البلاء ، وتَضَجَّرَ من كثرة الدعاء؛ فإنك
ممتحن بالبلاء ، مُتَعَبِّدٌ بالصبر والدعاء.

فلا تيأســــن من روح الله وإن طال البلاء؛ فإن الله - عز وجل -
يبتليـك؛ ليلو أخبارك ، وهل الابتلاء إلا الإعراض وعكس
المقاصد؟

قال عمر بن عبدالعزيز رحمته الله : «أصبحت ومالي سرور إلا في
انتظار مواقع القدر؛ إن تكن السراء فعندي الشكر ، وإن تكن

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ♦ ٣

الضراء فعندي الصبر»^(١).

٢- أن الله - عز وجل - هو مالك الملك : فله التصرف المطلق بالعتاء والمنع ، فلا راد لفضله ، ولا معقب لحكمه ، ولا اعتراض على عطاءه ومنعه ؛ إن أعطى فبفضل ، وإن منع فبعدل .

قال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمته الله : « فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضائه ، ولا محيد له عن حكمه النافذ وابتلائه ، إنا لله ملكه وعبيده ، يتصرف فينا كما يشاءه وما يريد »^(٢).

٣- أنه لا حق للمخلوق على الخالق : فالمخلوق مربوب ، مملوك ، مقهور ، مدبر ، والخالق رب ، قاهر ، مدبر .

والمملوك العاقل مطالب بأداء حق المالك ، ويعلم أنه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى ؛ فكيف يقصر المملوك ثم يطلب حقه

(١) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز الخليفة الخائف الخاشع لعمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء ، تحقيق د. محمد صدقي البورنو ٤٣٢/٢-٤٣٣ ، وانظر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص ٩٧ .

(٢) برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٣٨ .

كاملاً مع أنه لا حق له أصلاً؟!

قال ابن القيم رحمه الله: «فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العباد؛ فإن ذلك يورث مقت نفسه، والإزراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل، والانكسار بين يدي ربه، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله، ومغفرته، ورحمته؛ فإن حقه أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر ولا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عِلْمٌ عِلْمَ اليقين أنه غير مؤدٍ له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك.

فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله - تعالى - وبنفوسهم، وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم، وعلق رجاءهم كله بعفو الله ومغفرته»^(١).
ثم قال رحمه الله: «وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك؛

(١) (٢) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم تحقيق مجدي السيد

٥ ◆ الحَكَمُ من تأخر إجابة الدعاء

ينظرون في حقهم على الله ، ولا ينظرون في حق الله عليهم .
ومن ههنا انقطعوا عن الله ، وحُجبت قلوبهم عن معرفته ،
ومحبته ، والشوق إلى لقائه ، والتنعم بذكره .
وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه .^(١)

٤- أن الله - عز وجل - له الحكمة البالغة : فلا يعطي إلا لحكمة ،
ولا يمنع إلا لحكمة ، وقد ترى الشيء مصلحة ظاهرة ، ولكن
الحكمة لا تقتضيه ؛ فقد يخفى في الحكمة فيما يفعله الطبيب من
أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة ؛ فلعل هذا من ذاك .
ثم إن الله - عز وجل - له الحكمة البالغة ، فأسمأؤه الحسنــــــــــــــــى
وأفعاله تمنع نسبة الظلم إليه ، وتقتضي ألا يفعل إلا ما هو مطابق
للحكمة ، موافق لها ؛ فتأخر الإجابة قد يكون عين المصلحة
للداعي كما سيأتي بيانه في الفقرات التالية .

٥- قد يكون في تحقق المطلوب زيادة في الشر : فربما تحقق للداعي
مطلوبه ، وأجيب له سؤله ، فكان ذلك سبباً في زيادة إثم ، أو تأخر
عن مرتبة ، أو كان ذلك حملاً على الأشر والبطر ؛ فكان التأخير أو

المنع أصلح.

«وقد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو ، فهتف به هاتف : إنك إن غزوت أُسِرْتَ ، وإن أُسِرْتَ تَنْصَرْتَ»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله : «فقضــــــــــــاؤه لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع ، ونعمة وإن كان في صورة محنة ، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية.

ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل ، وكان ملائماً لطبعه.

ولو رزق من المعرفة حظاً وافراً لعدَّ المنع نعمة ، والبلاء رحمة ، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية ، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى ، وكان في حال القلة أعظم شكراً من حال الكثرة»^(٢).

٦- أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه : وهذا سر بديع يحسن بالعبد أن يتفطن له حال دعائه لربه ؛ ذلك أن الله - عز وجل -

(١) صيد الخاطر ١/١٠٩.

(٢) مدارج السالكين ٢/٢١٥-٢١٦.

٧ **الحكم من تأخر إجابة الدعاء**

أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، فهو أعلم بمصالح عباده منهم ، وأرحم بهم من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم .

وإذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيراً لهم من ألا ينزل بهم؛ نظراً منه لهم ، وإحساناً إليهم ، ولطفاً بهم .

ولو مكنّوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علماً ، وإرادةً ، وعملاً .

لكنه - عز وجل - تولى تدبير أمورهم بموجب علمه ، وعدله ، وحكمته ، ورحمته أحبوا أم كرهوا .

فإذا سلّم العبد لله ، وأيقن بأن الملك ملكه ، والأمر أمره ، وأنه أرحم به من نفسه - طاب قلبه ، قضيت حاجته أو لم تُقض .

وإذا فوض العبد ربه ، ورضي بما يختاره له - أمدّه فيما يختاره له بالقوة عليه ، والعزيمة ، والصبر ، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه ، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه .

وهذا يريجه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات ، ويفرغ قلبه

من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة ، وينزل في أخرى.

ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه ، فلورضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به ، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به.

ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطف عليه ، واللفظ فيه ، فيصير بين عطفه ولطفه ؛ فعطفه يقيه ما يحذره ، ولطفه يهون عليه ما قدر له.

قال سفيان الثوري رحمته الله : «منعه عطاء ؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم ، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختياراً وحسناً نظر»^(١).

٧- أن الإنسان لا يعلم عاقبة أمره : فربما يطلب ما لا يحمد عاقبته ، وربما كان فيه ضرره ، كمثل طفل محموم يطلب الحلوى وهي لا تناسبه.

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ♦ ٩

والمدير للإنسان أن أعلم بمصالحه ، وعاقبة أمره ، كيف وقد قال : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ البقرة : ٢١٦ ، ؟ .
ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور ، والرضا بما يقضيه عليه ؛ لما يرجوه من حسن العاقبة .

ومن أسرارها ألا يقترح على ربه ، ولا يسأله ما ليس له به علم ؛ فلعل فيه مضرته وهو لا يعلم ؛ فلا يختار على ربه ، بل يسأله حسن العاقبة فيما يختار له ؛ فلا أنفع له من ذلك .

« ولهذا من لطف الله - تعالى - لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية ، التي يظن بها إدراك بغيته ، فيعلم الله أنها تضره ، وتصدده عما ينفعه ، فيحول بينه وبينها ، فيظل العبد كارهاً ، ولم يدرك أن ربه قد لطف به ؛ حيث أبقى له الأمر النافع ، وصرف عنه الأمر الضار » .^(١)

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية للشيخ ابن سعدي ، اعتنى بها سمير الماضي ص ١٥١ .

٨- الدخول في زمرة المحبوبين لله - عز وجل - : فالذين يدعون ربهم ، ويتلون بتأخر الإجابة عنهم - يدخلون في زمرة المحبوبين ، المُشَرَّفِينَ بمحبة رب العالمين؛ فهو - سبحانه - إذا أحب قومًا ابتلاهم^(١).

وقد جاء في السنة ما يشير إلى أن الابتلاء دليل على محبة الله للعبد؛ حيث قال - عليه الصلاة والسلام - : «إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضى به رضى الله ، ومن سخط به سخط الله^(٢)».

٩- أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والعكس بالعكس : فإذا صحت معرفة العبد بربه علم يقينًا أن المكروهات التي تصيبه ، والمحن التي تنزل به ، والتي منها تأخر إجابة الدعاء - أنها تحمل في طياتها

(١) انظر برد الأكباد ص ٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وابن ماجه (٤٠٣١) من حديث أنس ، وحسنه الترمذي ، والألباني في صحيح الترمذي ٢/٢٨٦.

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ♦ ١١

ضرورياً من المصالح والمنافع لا يحصيها علمه ، ولا تحيط بها فكرته .
بل إن مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب ؛ فعامة
مصالح النفوس في مكروهاتها ، كما أن عامة مضارها وأسباب
هلكتها في محبوباتها .

قال - تعالى - : ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً
كثيراً ﴾ النساء : ١٩ .

وقال : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن
تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ البقرة :
٢١٦ .

فإذا علم العبد أن المكروه قد يأتي بالمحبوب ، وأن المحبوب قد
يأتي بالمكروه - لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة ، ولم
يأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة ؛ فإن الله يعلم ما لا يعلمه
العبد .

وما أجمل قول من قال :

كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في طيِّ المكاره كامنه^(١)

ومن قال :

تجري الأمور على حكم القضاء وفي

طيِّ الحوادث محبوب ومكروه

وربما سـرني ما كنت أحذره

وربما ساءني ما كنت أرجوه^(٢)

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : « ما يكره العبد خير له مما يحب ؛ لأن

ما يكرهه يهيجه للدعاء ، وما يحبه يلهيه » .^(٣)

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله :

إذا اشتدت البلوى تحفّض بالرضا

عن الله قد فاز الرضـيُّ المراقبُ

وكم نعمة مقرونة ببليّة

(١) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي ، تحقيق د. صلاح جرار ٥٢/٣ .

(٢) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي ، تحقيق د. صلاح جرار ٥٢/٣ .

(٣) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص ٢٢ .

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ◆ ١٣

على الناس تخفى والبلايا مواهب^(١)

١٠- تأخر الإجابة سبب لتفقد العبد لنفسه : فقد يكون امتناع الإجابة لآفة في الداعي ؛ فربما كان في مطعمومه شبهة ، أو في قلبه وقت الدعاء غفلة ، أو كان متلبساً بذنوب مانعة.

وتأخر الإجابة قد يبعث الداعي إلى تفقد نفسه ، والنظر في حاله مع ربه ، فيحصل له من جراء ذلك المحاسبة ، والتوبة ، والأوبة .
ولو عجلت له دعوته لربما غفل عن نفسه ، فظن أنه على خير وهدى ، فأهلكه العجب ، وفاتته هذه الفائدة.

١١- قد تكون الدعوة مستجابة دون علم الداعي : ثمرة الدعاء مضمونة إذا أتى الإنسان بأسباب الإجابة ، وسلم من موانعها ؛ فالداعي لا يخلو من أن يستجاب له دعاؤه فيرى أثره في الدنيا ، أو لا يستجاب له لوجود أحد الموانع ، فلا يرى أثراً لدعائه في الدنيا ، أو أن يستجاب له ولكن لا يرى أثراً للإجابة في الدنيا وإنما يؤخر له من الأجر مثل دعوته يوم القيامة ، أو أن يستجاب له الدعاء فلا

(١) برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٣٧.

يرى أثراً للإجابة ، ولكن يصرف الله عنه من سوء مثل دعوته وهو لا يعلم.^(١)

إذا تقرر هذا فكيف يسبب الداعي الإجابة طالما أن الثمرة مضمونة؟ ولماذا لا يحسن العبد ظنه بربه ويقول : لعله استجيب لي من حيث لا أعلم؟.

١٢ - قد يكون الدعاء ضعيفاً فلا يقاوم البلاء : قال ابن القيم رحمه الله : « وله ^(٢) مع البلاء ثلاث مقامات : أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه . الثاني : أن يكون أضعف من البلاء ، فيصاب به العبد ، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً .

(١) علق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في هذا الموضوع فقال : « وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يدفع عنه من سوء مثلها ، قالوا : يا رسول الله ، إذا نكث؟ قال : الله أكثر » أهـ . والحديث مضى تخريجه عند الحديث عن فضائل الدعاء .

(٢) يعني الدعاء .

الثالث : أن يتقاوما ، ويمنع كل واحد منهما صاحبه» .^(١)

١٣- قد يكون الإنسان سد طريق الإجابة بالمعاصي : فلو فتحها بالتقوى لحصل على مراده؛ فكيف يستبطن الإجابة وقد سد طريقها بالمعاصي؟.

أما علم أن التقوى سبب الراحة ، وأنها مفتاح كل خير؟
أما سمع قوله - تعالى - : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لم يحتسب ﴾ التحريم : ٢- ٣ .
وقوله - تعالى - : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ التحريم : ٤ ، ؟ .

أو ما فهم أن العكس بالعكس؟.

١٤- ظهور آثار أسماء الله - تعالى - : فمن أسماء الله - عز وجل - المعطي ، المانع ، الحكم ، العدل ، الكريم ، العليم ، البر ، الرحيم ، المالك ، الحكيم .

(١) الجواب الكافي ص ٩ - ١٠ .

وهذه الأسماء تســـــــــــــــــــــدعي متعلقات تظهر فيها أحكامها ،
ومقتضياتها ، وآثارها ؛ فتأخر الإجابة من أسباب ظهور تلك
الآثار ، والمقتضيات والأحكام .

فقد يمنع - عز وجل - أحداً من الناس ؛ لحكمته ، وعدله ،
وعلمه .

وقد يعطي برحمته - عز وجل - ، وحكمته ، وبره ، وعلمه .
١٥ - تكميل مراتب العبودية للأولياء : فالله - عز وجل - يحب
أوليائه ، ويريد أن يكمل لهم مراتب العبودية ، فيبتليهم بأنواع من
البلاء ، ومنها تأخر إجابة الدعاء ؛ كي يترَقَّوا في مدارج الكمال
ومراتب العبودية ؛ « فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته ، وكلما
ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله ، وعلت درجته » .^(١)

فأنفع الأشياء للعبد على الإطلاق طاعته لربه بظاهره وباطنه ،
وأضر الأشياء عليه معصيته لربه بظاهره وباطنه .

فإذا قام بطاعته وعبوديته مخلصاً له - فكل ما يجري عليه مما

(١) العبودية لابن تيمية ص ٨٠ .

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ١٧

يكرهه يكون خيرًا له.

وإذا تخلص عن طاعته وعبوديته - فكل ما هو فيه من محبوبٍ شرٍّ له.
فإذا تدبر العبد ذلك تشاغل بما هو أنفع له من حصول ما فاته.
هذا ومن تلك العبوديات التي تحصل من جراء تأخر إجابة
الدعاء ما يلي :

أ- انتظار الفرج : فانتظار الفرج من أجل العبوديات وأعظمها ،
فكلما اشتد انتظار الفرج كلما ازدادت ثقة العبد بربه ، فيزداد
بذلك قربًا من الله ، وأنسًا به - عز وجل - .

ولو عجلت له الإجابة لربما فاتته هذه العبودية.

قال ابن القيم رحمه الله : « انتظار روح الفرج يعني راحته ، ونسييمه ،
ولذته ؛ فإن انتظاره ، ومطالعه ، وترقبه يخفف حمل المشقة ولاسيما
عند قوة الرجاء ، أو القطع بالفرج ؛ فإنه يجد في حشو البلاء من روح
الفرج ونسييمه وراحته - ما هو من خفي الألفاف ، وما هو فرج
معجل » .^(١)

(١) مدارج السالكين ١٦٧/٢ .

ب- حصـول الاضـطرار والافتقار إلى الله : فهذا لب العبادة ومقصودها الأعظم؛ فالافتقار إلى الله دون سواه هو عين الغنى ، والتذلُّ له - عز وجل - هو العز الذي لا يدانيه عز.

ثم إن حاجة الإنسان بل ضرورته إلى الافتقار والاضطرار إلى الله - لا تدانيها حاجة أو ضرورة.

ولو أجيب دعاؤه مباشرة لربما أصابه التيه بالنفس ، والإدلال على الله بالعمل ، ولربما شعر بالغنى عن الله - تبارك وتعالى - .

وبذلك يخرج العبد عن وصـفه الذي لا ينفك عنه ، والذي فيه جماله وكماله ألا وهو افتقاره إلى ربه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده ، وأنه مستعانه ، فلا يأتي بالنعمة إلا هو ، ولا يـُصلح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب - أيضاً - لا بد له من الذنوب فهو دائماً فقير مذنب؛ فيحتاج دائماً إلى الغفور الرحيم؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه ، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه ، ويحسـن إليه؛ فهو دائماً بين

إنعام ربه وذنوب نفسه». (١)

جـ — حصول عبودية الرضا: «فالرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين». (٢)

فمن رضي عن الله وبالله رضي الله عنه وأرضاه؛ فالمؤمن حين تنزل به النازلة يدعور به، ويبالغ في ذلك، فلا يرى أثراً للإجابة، فإذا قارب اليأس نُظِرَ حينئذٍ في قلبه، فإن كان راضياً بالأقدار، غير قنوط من فضل الله فالغالب تعجيل الإجابة؛ فهناك يصلح الإيمان، ويهزم الشيطان، وتتبين مقادير الرجال.

وقد أشير إلى هذا في قوله - تعالى - : ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ البقرة: ٢١٤.

وكذلك جرى ليعقوب - عليه السلام - مع أولاده كما مر قريباً. أما الاعتراض وقلة الرضا عن الله فخروج عن صفة العبودية. قال بعضهم: «ارض عن الله في جميع ما يفعله بك؛ فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك،

(١) جامع الرسائل لابن تيمية ١١٦/١.

(٢) جامع العلوم والحكم ٤٧٦/٢.

ولا أَمَاتَكَ إِلَّا لِيَحْيِيكَ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تَفَارِقَ الرُّضْـصَا عَنْهُ طَرَفَةَ عَيْنٍ ،
فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ» (١).

قال ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ اللهُ :

يَجْرِي الْقَضَاءُ وَفِيهِ الْخَيْرُ نَافِلَةٌ

لِمُؤْمِنٍ وَاثِقٍ بِاللَّهِ لَا لَاهِي

إِنْ جَاءَهُ فَرَحٌ أَوْ نَابَهُ تَرْحٌ

فِي الْحَالَتَيْنِ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ (٢)

د- الانكسار بين يدي جبار السماوات والأرض : فالله - عز وجل - يحب المنكسرين بين يديه ، فيدينهم ، ويقرب منهم ، بل هو - عز وجل - عند المنكسرة قلوبهم .

ذكر عن عمران بن موسى القصير قال : قال موسى - عليه السلام - : «يا رب ، أين أبغيك ؟

قال : ابغني عند المنكسرة قلوبهم ؛ فإني أدنو منهم كل يوم باعًا ،

(١) مدارج السالكين ٢/٢١٦ .

(٢) برد الأكباد ص ٩ .

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ♦ ٢١

ولولا ذلك انهدموا»^(١).

فربما كان تأخر الإجابة سبباً لإطالة الوقوف على باب الله ، وانكسار العبد بين يديه ، وكثرة اللجأ إليه ، والاعتصام به .
بدليل أنه لولا هذه النازلة لم يُرَ على باب اللجأ والمسكنة؛ فالله - عز وجل - علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه ، فابتلاهم من خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيثون به .
فهذا من النعم في طي البلاء ، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عن ربك ، وأما ما يقيمك بين يديه - عز وجل - ففيه جمالك ، وكمالك ، وعزك ، وفلاحك .

هـ - التمتع بطول المناجاة : فالعبد قد يقوم لمناجاة ربه ، وإنزال حاجاته ببابه ، فيفتح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله ، ومعرفته ، والخضوع له ، والتذلل بين يديه - ما ينسـيه حاجته ، فيكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من قضاء حاجته التي سألها ،

(١) أخرجه أحمد في الزهد ص ٩٥ وأورده ابن القيم في إغاثة اللهفان ص ٩٧ .

فيحب أن تدوم له تلك الحال ، وتكون عنده أثر من حاجته ،
ويكون فرحه بها أعظم من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاته تلك
الحال.

وعلى هذا فكلما تأخرت الإجابة كلما طالت المناجاة ،
وحصلت اللذة ، وزاد القرب.

ولو عجلت الإجابة لربما فاتت تلك الثمرة.

قال سفيان الثوري رحمته الله : «لقد أنعم الله على عبد في حاجة أكثر
من تضرُّعه إليه فيها» .^(١)

و- مجاهدة الشيطان ومراغمته : فالشيطان عدو مبين للإنسان ،
يتربص به الدوائر ، ويسعى في إضلاله وصدّه عن صراط الله
المستقيم ، فإذا صادف منه غرة أصابه من خلالها.

فالعبد إذا دعا ربه ، وتأخر وقت الإجابة - بدأ الشيطان يجول في
خاطره ؛ ليسيء ظنه بربه ، وصار يُلقي في رُعه أن لا فائدة من دعائه.
فإذا جاهد العبد ، وراغمه ، وأغاظه بكثرة الدعاء ، وإحسان

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص ١٦١.

الحكم من تأخر إجابة الدعاء ♦ ٢٣

الظن بالله - حصل على أجر عظيم؛ فمجاهدة الشيطان ومراغمته من أجل العبوديات.

ولو لم يأت العبد من تأخر الإجابة إلا هذه الفائدة - لكان حرياً به ألا ينزعج من تأخرها.

هذه بعض الحكم المتلمسة من جراء تأخر الدعاء، والتي يجدر بالعبد أن يستحضرها إذا دعا وتأخرت إجابة الدعاء.